WORLD HEALTH ORGANIZATION
Regional Office for the Eastern Mediterranean
ORGANISATION MONDIALE DE LA SANTE
Bureau régional de la Méditerranée orientale

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة الصحة العالمية
المكتب الإقليمي لشرق المتوسط

كلمة

الدكتورة مارغريت تشان
المديرة العامة لمنظمة الصحة العالمية

في

الدورة الثانية والستين للّجنة الإقليمية لشرق المتوسط

مدينة الكويت، الكويت، 5 تشرين الأول/أكتوبر 2015

سيدي الرئيس، معالي الوزراء، حضرات المندوبين الموقَّرين، الدكتور علاء الدين العلوان، السيدات والسادة،

أوَدُّ أن أتوجَّه بالشكر إلى حكومة الكويت على استضافتها فعاليات الدورة الثانية والستين للّجنة الإقليمية لشرق المتوسط، وكذا على الجهد الكبير الذي تبذله لتعزيز الصحة في إقليم شرق المتوسط.

وأضُم صَوتي إلى صوت الدكتور العلوان في الإعراب عن بالغ الحزن إزاء الحادث الأليم الذي ترتَّب عليه فقدان للأرواح في موسم الحج هذا العام. وأوَدُّ كذلك أن أعرب عن بالغ تعازينا لأسر المتوفين وللأعداد الكبيرة من الجرحى وكذلك للعاملين الصحيين المتفانين الذين يتابعون علاجهم.

إن هذا العام هو عام التغيير؛ فقد تغيَّر العالم كثيراً منذ بداية هذا القرن، عندما باتَت الأهداف الإنمائية للألفية موضع تركيز الجهود الدولية الرامية إلى الحدّ من شقاء البشرية.

وفي ذلك الوقت كان يُعتَقَد أن ثمّة مجموعة متمايزة من الأسباب الرئيسية تقف وراء شقاء البشرية كالفقر، والجوع، وسوء حالة المياه والإصحاح، والعديد من الأمراض المعدية، وانعدام الرعاية الأساسية في أثناء الحمل وعند الولادة وفي مرحلة الطفولة.

وقد تجاوَز التركيز على تلك الأسباب، وما أطلقه من طاقات وموارد وابتكارات، أقصى ما حلِم به كثير من بني البشر. وأضحَى دليلاً على قوة التضامُن الدولي وأظهَر أفضل ما في الطبيعة البشرية من خصال كامنة.

وفي الشهر الماضي، وضعَت الجمعية العامة للأمم المتحدة اللمسات النهائية على خطة جديدة للتنمية المستدامة. وفيها زاد عدد الأهداف من ثمانية إلى سبعة عشر هدفاً، منها هدف للصحة. وتضاعفَت الغايات المتصلة بها ثماني مرات، إذ وصلَت إلى 169 غاية بدلاً من 21 غاية فقط.

والعوامل التي باتت تحكم جودة رفاه الإنسان والكوكب الذي يحتضنه لم تَعُد على ذلك القدر من التمايُز. ولهذا ستسعَى الخطة الجديدة إلى صياغة عالم مغاير تمام المغايرة.

فمنذ بداية هذا القرن، ظهرَت تهديدات جديدة للصحة وباتت لها الهيمنة والغلبَة. وتلكُم التهديدات الصحية الأحدث نشأة، مثلها مثل المشاكل الأخرى التي تحدّ من فرَص بلوغ البشرية مستقبلها المستدام، تفوق في حجمها ودرجة تعقيدها المشاكل التي كانت تهيمِن على خطة الصحة خلال الخمس عشرة سنة الفائتة.

فقد أزاحت الأمراض غير السارية المزمنة الأمراض المعدية من الواجهة وحلت محلها متبوئةً صدارة الأسباب الرئيسية للوفاة في العالم بأسره. أما قضية تغير المناخ، فلا تخفَى عليكم. وأما مضادات الميكروبات، فتبوء مهمّة المزيد والمزيد منها بالفشل جرّاء تطوير مسبِّبات الأمراض مقاومتها للأدوية الداعمة. فقد غدَت «البكتريا الفائقة» شديدة المقاومة تلازم غرف الطوارئ ووحدات الرعاية المركزة حول العالم.

ولا تتماشَى هذه التهديدات الأحدث نشأة مع النمط الطبي الحيوي الذي لطالما كان الدليل المرشِد للاستجابة في مجال الصحة العمومية. إذ تقع أسبابها الكامنة خارج إطار حقل الصحة العمومية بصورته التقليدية.

ولا يكفي ما يؤدِّيه القطاع الصحي وحده من عمل لحماية الأطفال من تسويق الأغذية والمشروبات غير الصحية، أو لحمل البلدان على الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري، أو لحثّ منتجي الأغذية المصنّعة على تقليص استخدامهم الهائل للمضادات الحيوية.

وفي عالم يتزايَد ترابُطه تزايداً غير مسبوق، لا ريب أن جميع تلك التهديدات الأحدث نشأة تتخطى كل حدود دوله. وفي عصر العولمة، لا يأبه تسويق المنتجات غير الصحية بأي حدود. ويؤدِّي تغيُّر المناخ، بحكم طبيعته، إلى التأثير على الكوكب برمَّته. وفي حالة السُل المقاوم لأدوية متعددة والبكتريا التي تحمل إنزيم (NDM-1)، ويتَّضح وضوح الشمس أن مسبِّبات الأمراض المقاومة للأدوية تنتشر انتشاراً سريعاً على المستوى العالمي.

وأما أزمة اللاجئين في أوروبا، فقد لقَّنَت العالم درساً مفاده أن الحروب التي تدور في مناطق أخرى، وإن كانت قاصية، لن تظل محصورة في تلك المناطق.

السيدات والسادة،

تُعقَد هذه الدورة في خضَمّ أزمات إنسانية وصراع مسلح عنيف بلغ من الاحتدام مبلغاً غير مسبوق. وكما جاء في التقرير السنوي للمدير الإقليمي، تهيمِن تلك الطوارئ والأزمات الإنسانية المتصاعِدَة على أعمال منظمة الصحة العالمية في الإقليم. وترسِم الإحصاءات الواردة في التقرير وغيره من وثائق الدورة المعنية صورة قاتمة للغاية لعواقب ذلك على الصحة.

ولكن على الرغم من معاناة الإقليم من عجز ملحوظ في التمويل، فقد تَمَكَّن من مواجهة صعوبات إنسانية شديدة بأساليب ابتكارية مبهِرة.

فقد نجحتم في إنشاء مركز مخصص للعمليات والمسائل اللوجستية، وتعزيز المكاتب القُطرية، وتوسيع قائمة الأفراد المدرَّبين على الاستجابة للطوارئ، وتحسين القدرة على تلبية الاحتياجات المفاجئة، وإنشاء صندوق إقليمي للتضامن في حالات الطوارئ من المقرَّر تفعيله في كانون الثاني/ يناير 2016.

وتمكنّتم كذلك من توحيد الإجراءات المتعلقة بالمسائل الإدارية والتمويل والموارد البشرية في أثناء الطوارئ، مما يسمح بتفادي الموافقات المتعددة المستويات التي يَتطلب الحصول عليها فترة طويلة.

وتتماشَى تلك الحلول الابتكارية تماماً مع إصلاحات المنظمة التي طلبَتها الأجهزة الرئاسية والتي استُهِل تنفيذها في أعقاب التقييم المستقل لأداء المنظمة خلال فاشية الإيبولا.

وكما ورَد في الكلمة التي تفضل بإلقائها المدير الإقليمي، تواجِه نصف بلدان هذا الإقليم أزمة إنسانية أو تمرّ بمرحلة التعافي منها. وهذه معلومة إحصائية غدَت مألوفة للجميع. لكن النصف الآخر ينعَم بالاستقرار أو يعم ربوعه السلام. وكثير منها يمضي نحو تحقيق الازدهار في مجال الصحة وغيرها من المجالات.

وما فتئ الإقليم يركِّز على تعزيز النُظم الصحية. ويتجسَّد هذا التركيز في الالتزام الذي قطعتموه على أنفسكم بتحقيق التغطية الصحية الشاملة، وتقييم التكنولوجيا الصحية الذي يُجرَىَ في العديد من البلدان، وسعيكم نحو تدريب المزيد من أطقم التمريض والقابلات، وما تولونه من عناية لمختلف خيارات التأمين الصحي الاجتماعي.

كما أنكم تبذلون جهداً دؤوباً لتحسين نُظُم تسجيل الأحوال المدنية والإحصاءات الحيوية. ورغم أن الكثير لم يُنجَز بعد، فقد أدَّت الجهود التي بذلتموها خلال السنة الماضية إلى طفرة كبيرة في البيانات المتعلقة بالوفيات المقدّمة إلى المنظمة، ولا سيَّما الإخطار بالوفيات ونماذج شهادات الوفاة.

فالمساءلة تعني الإحصاء. ولهذا، تكتسي المعلومات الموثوقة أهمية حيوية في وضع السياسات استنادا إلى البيِّنات وتخصيص الموارد بكفاءة. ورغم أن التغطية الصحية الشاملة ليست عملية زهيدة التكلفة، فإنها تغدو ميسورة التكلفة متى اتُّبِعَت السياسات السليمة.

وقد أبدى الإقليم تضامناً عظيما في استجابته لفاشيات شلل الأطفال في الجمهورية العربية السورية والعراق وفي القرن الأفريقي. وقد نجحتم في السيطرة على تلك الفاشيات بما أديتموه من عمل خارق في مجال الصحة العمومية، مستعينينَ في ذلك بما حصلتم عليه من تمويل سخيّ من بلدانكم. ولهذا، وجب علينا أن نُعرِب عن شكرنا الذين ساهموا في تحقيق ذلك.

وقد أدخلت تحسينات مدهشة على برنامج شلل الأطفال في باكستان وأفغانستان أفضَت إلى تحقيق نتائج طيبة. لكن ثمَّة حاجة إلى مزيد من التضامُن الإقليمي لإنجاز تلك المهمّة.

السيدات والسادة،

تُعقَد هذه الدورة أيضاً في شبح فاشية الإيبولا الذي يخيِّم على غرب أفريقيا.

وتضمَّنَت هذه الوثيقة التي أصدرتموها حول الأمن الصحي العالمي في غاية الصرامة والحزم؛ إذ تصف فيروس كورونا المسبِّب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية وفيروس أنفلونزا الطيور H5N1 الشديد بأنهما "الخطران الأكبر منذ اندلاع فاشية مرض فيروس الإيبولا في غرب أفريقيا."

وفي ذلك إنذار من أن عدم بذل مزيد من الجهد يعني أن الأزمة الصحة العالمية المقبلة يمكن أن تنشأ في الإقليم، خاصةً وأن الطوارئ تعجِّل بتفاقُم التهديدات الوبائية.

وقد سلطَّت الفاشية التي اندلعَت مؤخَّراً في جمهورية كوريا الضوء على حقيقة أن ظهور فيروس كورونا المسبِّب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية في بيئة جديدة يمكن أن يؤدِّي إلى سرايته على نطاق واسع، مع ما يُصاحب ذلك من هزات عنيفة للنظام الصحي والاقتصاد والمجتمع.

وقد أطلقَت لجنة الطوارئ المعنية باللوائح الصحية الدولية في آخر تقاريرها إنذارا للمسؤولين رفيعي المستوى دون أن تستثني منهم أحداً. واستدلت فيه بعدم كفاية الوعي بالخطر الداهم جرّاء الفيروس، وعدم كفاية مشاركة جميع القطاعات ذات الصلة والقصور في تنفيذ التدابير التي تستهدف مكافحة العدوى، ولا سيَّما في دوائر الطوارئ. ولم تلبّ على نحو متَّسِق طلبات الحصول على المعلومات وإجراء البحوث. فالعديد من الفاشيات التي اندلعت في المستشفيات لم تكن لتندلع قَط.

وقد اتسَّمَت الطفرة الأخيرة في بعض الحالات ببعض الخصائص التي تبعث على القلق، ومنها فشل الكشف المبكر عن الحالات ومكافحة العدوى، وعدد المصابين بين العاملين في مجال الرعاية الصحية، وعدد الحالات الحرجة في الشريحة العمرية الصغيرة من البالغين غير المصابين بالاعتلالات المرضية المصاحبة.

وقد خلصَت لجنة الطوارئ إلى أن "فرادى البلدان والمجتمع العالمي سيبقى يواجه خطرا شديدا يتمثل في اندلاع مزيد من الفاشيات" إلى أن تتحسن الجهود الحالية.

ولذلك، أهيبُ بكم، بأشد العبارات الممكنة، أن تولوا هذا التحذيرات العناية الواجبة.

وشكراً لكم.